

التوظيف الحداثي لعلوم القرآن

Modernist Employment of Koranic Sciences

¹ حواء نور الهدى خليفة² أمينة رابح¹ جامعة وهران (وهران)² جامعة وهران (وهران)

تاريخ النشر: 2024/05/20

تاريخ القبول: 2024/05/11

تاريخ الاستلام: 2024/05/05

ملخص:

إنَّ من أعظم النعم التي أنعمها الله تعالى علينا هو القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، فما من مسلم إلا ووجد فيه ظلالته واستقى منه ما ينفعه في دنياه وآخرته، وقد انكب العلماء قديما وحديثا على القرآن الكريم بالدراسة والقراءة والتدبر، والبحث في خباياه وأسراره والسعي نحو تفسيره وبيان معانيه وأخباره، فلم يتركوا منه علما الا واستخرجوه، ومن أجل هذا الغرض دُوِّنت علوم القرآن الكريم، تدوينا يليق به فجعلت تبحث في كل آلة قد تساعد على فهم كتاب الله والوصول لمعانيه، فتتعمق فيها مستعينة في ذلك بأقوال الصحابة واجتهادات السلف الصالح، ثم مع مرور الزمن أصبح الباحثون المعاصرون يبسطون ما جاء في كتب المتقدمين ويجهدون في التبويب والتقسيم وبيان طرق التوظيف والردّ على بعض شبهات المستشرقين، الذين ما إن اكتمل تدوين بعض المؤلفات من علوم القرآن حتى جاءوا بلاد المسلمين وتعلموا لغتهم وانكبوا نحو علومنا وترجمتها، كيف لا وقد وجدوا تلك العلوم القرآنية سرّا من أسرار تقدّم وازدهار الحضارة الإسلامية حيث كانت في أوجها العلمي أو ما يسمى العصر الذهبي الإسلامي الحقيقي بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر، ولكن لم يكتفي المستشرقون بالاستفادة من علوم القرآن وتفسيره فقط بل وجهوا شبهات كثيرة جدًا شكّلت خطرا على الإسلام وذلك من خلال انتشارها عند المثقفين من العرب والمسلمين، ثمّ لم يقف الوضع عند هذا الحدّ حيث ظهر الفكر الحداثي ولم يكن مقتصرًا على القرآن فحسب بل على جميع مجالات العلم،

ولكن تأثيره على القرآن الكريم كان أقوى أثرا وأدعى صيتا لأنه المصدر التشريعي الأول للمسلمين، والحادثة لم تكن مثل الإستشراق وذلك أنّ الاستشراق فكرة غريبة جاء بها كفار وأعداء مغرضين قصدوا تشويه التعاليم الإسلامية، ولكنّ الحادثة التي توجهت نحو القرآن كانت بواسطة عرب مسلمين من بلاد مسلمة عربية، قصدت تبديل معاني القرآن بما يوافق العصر والتقدّم العلمي، وجعلت من علوم القرآن سلاحا تضرب به القرآن نفسه.

ومن بين من ردّ شيئا من شبهاتهم نقدا لتفكيرهم وتوجههم، هو الأستاذ فضل حسن عباس ذو الشخصية المميزة والفريدة من نوعها، في كتابه القيم "إتقان البرهان في علوم القرآن" والذي تميّز بالجدة والجديّة كما ذكر ذلك في مقدّمته من الجزء الأول في طبعته الأولى، حيث ذكر في بعض من فصول الكتاب انتقادات لبعض الحداثيين والمستشرقين في مسائل مختلفة في علوم القرآن، وستعرّف عليها وعلى مسلكه في النقد من خلال هذا البحث بإذن الله عزّ وجل.

كلمات مفتاحية: الاستشراق ، الحادثة، النقد .

Abstract:

One of God's greatest blessings is the Holy Quran, whose wonders do not lapse. "No Muslim has found his injustice and derived his benefit from his religion and his last, Ancient and modern scholars have engaged in the Holy Quran by studying, reading and deliberating and seeking to interpret it and to demonstrate its meaning and news, For this purpose, the Holy Quran's science has been codified. A blogging that befits him so I made a search of every machine that might help to understand God's book and reach its meanings s words and the jurisprudence of the good ancestor, Then, over time, modern researchers streamline the applicants' books and strive to tab, divide, indicate the methods of recruitment and respond to some of the suspicions of orientalis. who, once some of the writings from the Koranic sciences had been written, had come to Muslim countries, learned their language and spilled towards our science and translation, How not have they found that Quranic science a secret from the secrets of the advancement and prosperity of Islamic civilization where it was in its scientific height or the

so-called true Islamic golden age between the ninth and twelfth centuries But not only did the orientalist benefit from the Koran's science and interpretation, they drew many suspicions that posed a threat to Islam by spreading them to Arab and Muslim intellectuals, Then the situation did not stop at this point where modernist thought emerged and was not limited to the Koran, but to all spheres of science. But its influence on the Holy Quran was stronger and sighed because it was the first legislative source of Muslims, And modernity was not like Orientalism, because Orientalism was a Western idea brought about by Kfar and enemies who intended to distort Islamic teachings. But the modernity that went towards the Koran was by Muslim Arabs from Arab Muslim countries, I intended to change the meaning of the Qur 'an in accordance with the times and scientific progress, and made the Qur 'an a science a weapon by which the Qur 'an itself would strike.

Among the respondents of some of their likenesses in criticism of their thinking and orientation, is Professor Fazal Hassan Abbas of distinctive and unique character, in his valuable book "Mastering the Proof in Quran Science", which was distinguished by novelty and seriousness as mentioned in its introduction to the first part of its first edition, where in some of the book's chapters he mentioned criticisms of some modernists and orientalist in various issues in Qura science.

Keywords Orientalism, modernity, criticism.

⁽¹⁾ المؤلف المرسل: حواء نور الهدى خليفة ، أمينة رابع

1. مقدمة:

إنّ من أعظم النعم التي أنعمها الله تعالى علينا هو القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، فما من مسلم إلا ووجد فيه ظالته واستقى منه ما ينفعه في دنياه وآخرته، وقد انكب العلماء قديما وحديثا على القرآن الكريم بالدراسة والقراءة والتدبر، والبحث في خباياه وأسراره والسعي نحو تفسيره وبيان معانيه وأخباره، فلم يتركوا منه علما الا واستخرجوه، ومن أجل هذا الغرض دُوّنت علوم القرآن الكريم، تدوينا يليق به فجعلت تبحث في كل آلة قد تساعد على فهم كتاب الله والوصول لمعانيه، فتتعمق فيها مستعينة في ذلك بأقوال

الصحابة واجتهادات السلف الصالح، ثم مع مرور الزمن أصبح الباحثون المعاصرون يستطون ما جاء في كتب المتقدمين ويجهدون في التبويب والتقسيم وبيان طرق التوظيف والرد على بعض شبهات المستشرقين، الذين ما إن اكتمل تدوين بعض المؤلفات من علوم القرآن حتى جاءوا بلاد المسلمين وتعلموا لغتهم وانكبوا نحو علومنا وترجمتها، كيف لا وقد وجدوا تلك العلوم القرآنية سرًا من أسرار تقدّم وازدهار الحضارة الإسلامية حيث كانت في أوجها العلمي أو ما يسمى العصر الذهبي الإسلامي الحقيقي بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر، ولكن لم يكتفي المستشرقون بالاستفادة من علوم القرآن وتفسيره فقط بل وجهوا شبهات كثيرة جدًا شكّلت خطراً على الإسلام وذلك من خلال انتشارها عند المثقفين من العرب والمسلمين، ثم لم يقف الوضع عند هذا الحدّ حيث ظهر الفكر الحدائي ولم يكن مقتصرًا على القرآن فحسب بل على جميع مجالات العلم، ولكن تأثيره على القرآن الكريم كان أقوى أثراً وأدعى صيتاً لأنّه المصدر التشريعي الأول للمسلمين، والحادثة لم تكن مثل الإستشراق وذلك أنّ الاستشراق فكرة غريبة جاء بها كفار وأعداء مغرضين قصدوا تشويه التعاليم الإسلامية، ولكنّ الحادثة التي توجهت نحو القرآن كانت بواسطة عرب مسلمين من بلاد مسلمة عربية، قصدت تبديل معاني القرآن بما يوافق العصر والتقدّم العلمي، وجعلت من علوم القرآن سلاحاً تضرب به القرآن نفسه.

ومن بين من ردّ شيئاً من شبهاتهم نقداً لتفكيرهم وتوجههم، هو الأستاذ فضل حسن عباس ذو الشخصية المميزة والفريدة من نوعها، في كتابه القيم "إتقان البرهان في علوم القرآن" والذي تميّز بالجدّة والجديّة كما ذكر ذلك في مقدّمته من الجزء الأوّل في طبعته الأولى، حيث ذكر في بعض من فصول الكتاب انتقادات لبعض الحدائين والمستشرقين في مسائل مختلفة في علوم القرآن، وسنتعرّف عليها وعلى مسلكه في النّقد من خلال هذا البحث بإذن الله عزّ وجلّ.

1: مدخل مفاهيمي

1.1 التعريف بالنقد وأهميته

تعريف النقد:

النقد لغة: النون والقاف والذال أصل صحيح يدلّ على إبراز شيء وبروزه.

ومن الباب نقد الدرهم، وذلك في أن يكشف عن جودته وحاله وغير ذلك.

ودرهم نقد: أي وازن جيد كأنه قد كشف عن حاله فعلم (ابن فارس، صفحة 577).

ونقد الدرهم أي أخرج منه المزيّف وناقدت فلانا إذا ناقشته بالأمر (ابن منظور، صفحة 254).

النقد اصطلاحاً: النقد في حقيقته تعبير عن موقف كلّ متكامل في النظرة إلى الفن عامة، يبدأ بالنذوق أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم، وهذه خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، وهي متدرجة على هذا النسق كي يتخذ نهجاً واضحاً مؤصلاً على قواعد جزئية أو عامة مؤيداً بقوة الملكة بعد قوّة التمييز (إحسان عباس، 1989، صفحة 5).

أهمية النقد:

لقد أستمع العقل الناقد منذ قديم الزمان حتى وإن لم يصحّ به ولم توضع له مناهج واضحة ومسمى متعارف عليه إلا أنه يُستعمل بهذا المعنى سليقةً وبطريقة عفوية عارضة وأحياناً بشكل لا إرادي مع الأمور الحياتية البسيطة ومع أفراد العائلة، فكان أداة مهمةً وضرورية داخل المجتمع عامة وعند العلماء والمفكرين الباحثين خاصة، علماً أن للنقد أنواعاً وأساليباً وأشكالاً، منها النقد البناء وهو النقد المثمر ذو التأثير الإيجابي الحَسَن الذي يبني على ما كان قبله ويقوّم ما يتطلب تقويماً حتى يحسّن من جودته وغالباً ما يكون هذا النقد موضوعياً خالياً من التعصّب للديانة أو المذهب أو العقيدة وهو أفضل أشكاله، والنقد الهدّام وهو الذي يهدم ما بُني قبله فيكون ذا أثر سلبي يكون أقرب للتهجم من النقد، والنقد الأدبي وهذا النوع أكثر ما يكون النقد مرتبطاً به وألفت مؤلفات عديدة في النقد الأدبي قديمة وحديثة وهذا لا شك دليل على أهميته وأثره البالغ. ويكون النقد الذي يعتمد على قواعد خاصة أكثر في مجال الأدب من غيره، ثمّ السياسة، والسينما، والمسرح وفي مختلف المجالات الأخرى في الحياة العامة.

والنقد مفهوم عميق فالناقد الجيّد المتخصّص حين ينقد ينظر نظرة خارجية في أصل الشيء ومصدره نظرة المحلل الباحث، ونقد داخلي وهو النظر في الفكرة والموضوع ذاته من حيث التركيب والمحتوى ومدى صحته نظرة الممحصّ المدقق، وهذا هو النقد المنتج الذي يصل الناقد فيه إلى نتائج يستفيد منها كلا الطرفين الناقد والمتعرّض للنقد.

فعملية النقد بمفهومها الإيجابي البناء تثبت أنّ الإنسان غير معصوم فلا يحقّ لأحد أن يدعي المعرفة الكاملة، فهي سبيل لمراجعة أفكار الآخر والعمل على النظر في النقائص وتحسينها والاستفادة منها، فنحن أحوج ما نكون إلى النقد في زمن كثر فيه التخلّف في الفكر والواقع على السواء. عندما نتكلم عن النقد العلمي عند العلماء أو المفكرين وعند أهل الحديث والمفسرين، فإنّنا لا بدّ أن نتكلّم عن التاريخ وضرورة فهم الجهود السابقة على مرّ العصور، حتى نفهم العصر الحالي ونعمل على تطويره وتطوير فكرة النقد فيه، مع الحفاظ على جوهر العلوم.

2.1: ترجمة الأستاذ فضل حسن عباس

هو الأستاذ الدكتور أبو أحمد، فضل بن حسن بن أحمد آل عباس الصفوي الشافعي، أحد أبرز علماء السنة في الأردن وأحد العلماء المعدودين في علوم التفسير وعلوم اللغة والبلاغة، ولد الأستاذ فضل حسن عباس عام 1350هـ ما يوافق 1932م في صفورية شمال غرب الناصرة بفلسطين (محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، 2013، صفحة 10).

نشأته ومكانته العلمية:

نشأ الأستاذ نشأة إسلامية إيمانية محبة للعلم وأهله، في بيت علم وفضل وصلاح وكان الأخ الأكبر لأخوته، نشأ على العلم منذ صغره فقد كان بيت والده مكانا للعلماء الذين يرسلهم خاله الشيخ يوسف عبد الرزاق المدرّس بكلية أصول الدين بالأزهر، أمّ فضل حسن عباس حفظ القرآن في بلدته وهو ابن عشر سنين، ثمّ حفظ من المتون العلمية، متن الغاية والتقريب في الفقه الشافعي، ومتن الرحبية في الفرائض، وجوهرة التوحيد في العقائد، والألفية لابن مالك، درس بالمدرسة الأحمديّة وبقي فيها عامين، بعد مرحلة الثانوية تقدّم لامتحان كلية أصول الدين بالأزهر الشريف، فنجح ودخل الكلية وتخرّج فيها عام 1952م وكان عمره آنذاك عشرون سنة، فكان أصغر طالب يتخرّج فيها على الإطلاق (جمال محمود أحمد أبو حسان، 2003). (فضل حسن عباس ، صفحة 8)

التمس فيه خاله الشيخ يوسف رحمه الله النبوغ والعلم فطمأنه أنه سيصنع منه رجلا عظيما بفضل الله، فكان كذلك، حصل على رسالة الماجستير أثناء فترة تدريسه بكلية الشريعة سنة 1967م، وبعدها درجة الدكتوراه عام 1972م، وعنوان أطروحته "إتجاهات التفسير في مصر والشام"، ثم استقرّ مدرسا في كليّة الشريعة بالجامعة الأردنية في عام 1978م، إلى أن تقاعد منها عام 2002م، ثم واصل التعليم والتدريس في جامعة اليرموك، وبعدها انتقل إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية سنة 2008م، ليواصل مشواره في تبليغ العلم، وتخرج الأجيال الصاعدة نحو العلم والكمال، إلى أن وافته المنية يوم 9 فبراير عام 2011م في عمان بالأردن. عرفه الناس من خلال كتبه ودروسه ومحاضراته في حلقات العلم وفي المساجد وفي المنتديات العلمية، وعرفه طلاب العلم في رحاب المعاهد العلمية، وبرز كأحد أهم علماء التفسير والتلاوة وكان ذلك في السبعينات حين سجلت له الإذاعة الأردنية 400 حلقة إذاعية في تلاوة وتفسير القرآن الكريم كاملا، كانت باكورة مسيرته العلميّة التي أثمرت في ما بعد نتاجا كبيرا وهاما من المؤلفات والنظرات الجديدة في تفسير القرآن الكريم (احمد بن محمد صلاح الشرفي، صفحة 14).

أبرز شيوخه وتلاميذه: من أبرز شيوخه: خاله العلامة يوسف عبد الرزاق المشهدي رحمه الله، والشيخ احمد العيلوطي والشيخ مشهور الضامن، والأستاذ فواز صالح والأستاذ عزة مرعي والدكتور عبد الله دراز وغيرهم كثير رحمهم الله رحمة واسعة، أما أبرز تلاميذه سليمان الدقور، وجمال أبو حسان وجهاد نصيرات ومصطفى ابراهيم المشني.

أهم مؤلفاته: للشيخ مؤلفات في علوم القرآن وفي التفسير وفي البلاغة القرآنية من بينها:

- 1- إتقان البرهان في علوم القرآن.
- 2- إعجاز القرآن الكريم.
- 3- قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف، إرهاف حس وتهذيب نفس.
- 4- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن وردّ شبهات.
- 5- القراءات القرآنية وما يتعلق بها.

- 6- التلاوة والتجويد.
 - 7- التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث.
 - 8- تفسير القرآن المجيد، وهو تفسيره الإذاعي الذي سجله كلاما وهو مختصر.
- هذه بعض من كتب الشيخ القيّمة التي لقت انتشارا واسعا وقبولا، هذا بالإضافة إلى بحوثه المنشورة التي تفادينا ذكرها اختصارا وإيجازاً.

3.1: نبذة عن كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن

إسم الكتاب: اشتق المؤلف اسم كتابه من كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي وإتقان في علوم القرآن للجلال الدين السيوطي، وسماه إتقان البرهان في علوم القرآن تيمنا واعترافا بفضلهما ومجهوداتهما (فضل حسن عباس ، صفحة 6). حيث جاء مكملا لهما حيث بنى على الجهود السابقة وناقش وحلل، وتناول ما لم يكن في عصر الإمامين السيوطي والزركشي من الفتن الحديثة والادعاءات الغريبة الحديثة. أجزأه وطبعاته: يتكوّن الكتاب من جزئين، الجزء الأول ويحتوي على 501 ص والجزء الثاني وفيه 447 ص وكلاهما في طبعته الرابعة 1442هـ/2021م، وقد وجدت فيه أربع طبعات آخرها الطبعة الرابعة 2021م، والتي نشرتها دار النفائس بالأردن، قسّمه صاحبه إلى ثمانية وعشرون فصلاً، أي النصف الأول من الفصول في الجزء الأول وهو أربعة عشر فصلاً، والنصف الثاني في الجزء الثاني أربعة عشر فصلاً كذلك.

دوافع تأليفه:

أما دافع تأليفه فقد التمسته في مقدمته في طبعته الأولى من الجزء الأول، أنّه أراد التميّز والرقىّ وقصد حسن العرض وسهولة الأسلوب وقرب المأخذ فتميّز بالجِدّة والجديّة حيث قصد بالجِدّة أنّ هذا العلم لا بدّ أن لا يكون جامدا بل أن يكون علما متحركا مع الزمن، فيكون الباحث والعالم على هذا الحال حتى يرصد كل التحركات المشبوهة التي تضرب القرآن الكريم وتبث الشكوك حوله، أمّا مقصوده بالجديّة (فضل حسن عباس ، الصفحات 4-5) كما أشار أن ما وصلنا من مؤلفات السابقين وما نقله عن المتقدمين ليس كلّ من المسلمات التي لا ينبغي الخروج عنها، بل لابدّ في كلّ ذلك من التمحيص والتدقيق، كما قال

في مقدمه: "ولكنني قبلت ورفضت وناقشت ورجحت ووافقت وخالفت" (فضل حسن عباس ، صفحة 5)، ومادام أنه اجتهد بشري فهو معرض للصواب والخطأ، فاتسمت دراسته بالجرأة العلمية واللمسة النقدية لمن سبقه بالتأليف، وليس فقط في هذا الكتاب الذي نحن بصدد دراسته بل قد سلك نفس المسلك في كتابه القيم التفسير والمفسرون أساسياته وإتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، حيث تبرز شخصيته ويتجلى تمكّنه من ذلك العلم.

وما سبق ذكره من الجدة والجدية لا ينافي التواضع حيث أنّه قال: "ولا أدعي السلامة في كل ما قررت والصحة لكلّ ما رجّحت فأنا بشر يصيب ويخطئ، ورحم الله امرأً أهدى إليّ عيوب نفسي" (فضل حسن عباس ، صفحة 5).

وانظر فيما قاله عنه الدكتور جمال أبو حسان حين أشار إلى سعة صدره وإنصاته لأصحاب الآراء عن كتابه في أحد طبعاته، والذين رأوا فيه بعض هنات هنا وهناك، وكيف أخذ من تلك الملاحظات ما يرفع به تلك الهنات (فضل حسن عباس ، صفحة 7).

تأملات في فصول كتابه:

وهكذا تفرّد في طرحه لفصوله في هذا الكتاب فالتأمل لفصول الكتاب يجد أنّ الأستاذ فضل حسن رحمه الله اتفق فيها مع العلماء، وأخرى تميّز بها، وإن لم يستوعب جميع الأنواع إلا أنه تطرق للضروري والمهم منها لطالب العلم الشرعي (فضل حسن عباس ، صفحة 18)، فإنه لم يتناول المسائل الخارجة عن علوم القرآن فكان الكتاب جذاباً بالنسبة لطلاب العلم الذين يبحثون عن الاختصار والجدة.

2. النقد العام للحدّثة

1.2 الفرق بين الحدّثة والاستشراق عند فضل عباس

أسس فضل للفرق بينهما على اعتبار التصريح وعدمه، أو الوضوح والتزيف، فهو يعتبر أن المستشرقين بل حتى الملاحدة أصحاب موقف واضح على عكس أهل الحدّثة فهم يبتنون مواقفهم و يظهرون غيرها . وقد أشار إلى أنّ التفريق كذلك حين تحدّث عن الاستشراق فقال "لعل التعامل مع هذا النمط أيسر... لأنّ شبهات المستشرقين غدت بينة الأهداف واضحة النتائج عند كثير من الناس، فالمستشرقون

لا يخذعون غيرهم، بل تجدهم يصرّحون بآرائهم للنيل من دين الله" (فضل حسن .والمبشرون والملاحدة عباس ، صفحة 359)

— في موضوع النسخ يرى انه لا يكون في القرآن بل يكون في أم الكتاب فقط، مستدلاً بقوله: "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب"

— يرى أن القرآن لاعلاقة له بأسباب النزول، فالقرآن كان سينزل في كل حال. (فضل حسن عباس)
الخلفية القرآنية لنقد الحداثة العربية عند فضل عباس: ينطلق فضل عباس في نقد الحداثة من تكوينه الشرعي، والمطالع لكتابه يجده في أحيان كثيرة يستعمل ألفاظ قوية في النقد عل عكس غيره من العلماء في المجالات الأخرى، وقد ركز في نقده على الحداثة العربية خاصة في ما تعلق منها بالنص القرآني وذلك لكون فضل عباس من مفسري وعلماء القرآن في هذا الزمن، لذا نجد أن نقده في الحقيقة يعتمد على البعد القرآني على مستوى التأويل الحدائي لمباحث علوم القرآن خاصة دون غيرها

2.2: منهجه في النقد

1 نقل الأقوال مباشرة من مصادرها الحداثية

تميز فضل عباس بالنقل من غير واسطة عن أهل الحداثة وذلك من أجل تحليل أقوالهم و نقدها، فنجد تارة ينقل سماعاً مثلما وقع له من خلال نقده لأقوال الباحثة منى فياض (فضل حسن عباس ، صفحة 359) التي فرضت أقوالها من خلال حصة إذاعية تابعها الشيخ، كما نجده ينقل عن أركون وعن حسن . خنفي، ونصر حامد أبو زيد، الجابري... وغيرهم

2 نقد الحداثة بين الإجمال والتفصيل

تميز فضل عباس في نقده للحداثة بين الإجمال و التفصيل، في بداية مبحثه اختار النقد الإجمالي إذ أنه جعل أصحاب الحداثة العربية كلهم في سلة واحدة وذلك من خلال إشارته إلى قصدهم في المساس بقدسية النص القرآنية وإسقاطها وكذا تزويرهم للحقائق، ولكن في حقيقة الأمر ليس كذلك فأهل الحداثة العربية على مستويات مختلفة

كما نجد أنه قد أجمل في الحديث عن الحادثة من خلال الإشارة إلى مناهجهم عموماً خاصة الألسنية وقد بين أنه قد تأسس نقدهم للتراث عليها وذلك لتحقيق أغراض منها:

- إسقاط المناهج التفسيرية التقليدية وتعويضها بالمناهج الحديثة المعاصرة.

-إستباحة النص حرمة النص القرآني.

- التعامل مع النص القرآني بمعاملة تحقيقية.

- جعل النص القرآني عبارة عن رموز تدل على مفاهيم فلسفية ونظرية خاضعة للواقع.

كما نجد فضل عباس يتهم أهل الحادثة بعدم الأمانة العلمية في العموم إذ أنها تتبع سياستهم وليس النص كذلك فكثيراً ما تجدهم يستدلون بالضعيف منها، وكما نجده يتهمهم وفي نقلهم للنصوص والأحاديث . بالجهل بسبب تنزيلهم للآراء الغربية على البيئة العربية المخالفة للبيئة الأوربية .

وينهي فضل عباس نقده الإجمالي بنسف الحادثة العربية بكونها تسعى للهدم لا للبناء، و أنهم خطر داهم على خصل الأمة الإسلامية يحتاج لمواجهة عقلية نقدية.

3.: النقد التفصيلي للحادثة عند فضل عباس

لقد عقد فضل عباس فصلاً كاملاً في كتابه الإتقان لنقد الحادثة والعلمانية في مواجهة النص القرآني، وقد صرح بأن فصله هذا من أكثر المباحث تعقيداً في كتابه وخطورة، وذلك بسبب كثرة المغالطات التي يبثها أهل الحادثة في مدوناتهم.

وقد عرض لثلاثة نماذج من الحداثيين الذين تعرضوا لعلوم القرآن بالشكوك والأكاذيب، أولهما محمد أركون ثم ناصر حامد أبو زيد ثم محمد شحرور. وقد وصفهم فضل عباس فقال: "إنهم يتقمصون أكثر من شخصية، فهم يتظاهرون بأنهم مسلمون متباكون على هذا الإسلام يريدون أن يقدموه للناس بما يتفق مع متطلبات العصر وحاجات الناس وسلاحهم كما يدعون سلامة المنطق وحرية البحث وقوانين العلم (فضل حسن عباس ، صفحة 358)". كما نجد في مقدمة الفصل أن الشيخ رحمه الله يبرز خطر هؤلاء في مقابل خطر غيرهم من أهل الإستشراق، وكانت له مطالب صريحة للتصدي لهم لحفظ الدين وبيان زيف أقوال

وقد أصل لقوله أن الحادثة في حقيقتها تستعمل نوعا من الزيف لكون بعضهم يدعون .أهل الحادثة
الإلتناء إلى الدين والحرص عليه من جهة ومن جهة أخرى يضربون هذا الدين

1.3: نقده لمحمد أركون

كثرة ذكر المصطلحات الغربية عن عمد: وقال هي إشارة إلى ما يضمهر هاؤلاء للغة العربية، تفخيما لشأن
هذه المصطلحات، وكان الأولى استعمالهما اللغة العربية، وكأنهم يوهمون القارئ ان اللغة العربية لا تتسع
لمثل هذه المصطلحات (فضل حسن عباس ، صفحة 368).

تأثره بالاستشراق بشدة:

برز نقد الأستاذ فضل للمؤرخ الجزائري أركون من خلال توكيداته المتكررة على تأثر هذا الأخير بالمناهج
الإستشراقية والفكر الاستشراقي عموما، رغم إنكار أركون لذلك في كتاباته واتهامه المنهج الإسلامي بنزع
الصفة التاريخية عن القرآن الكريم ويعني بالصفة التاريخية ما قرره المستشرقون أنّ تاريخ القرآن منقطع
الصلات ممزّق الحلقات (فضل حسن عباس ، صفحة 371)، ومن امثلة ما أخذه من المستشرقين أنّ
التشريعات والأحكام وضّفها الفقهاء أولا ثمّ وضع لها ما يؤيدها من القرآن والسنة، والأحاديث وضعها
الفقهاء تأييدا للأحكام التي شرعوها والقرآن بدوره أسقط على تلك التشريعات (فضل حسن عباس ،
صفحة 374).

تعامله مع الوحي بوصفه ظاهرة لغوية: قبل أن يكون عبارة عن تركيبات ثيولوجية أو لاهوتية، والظاهر 1)
أنّ أركون ليس على علم بشيء من خصائص اللغة العربية وأساليبها (فضل حسن عباس ، الصفحات
371-372).

ردّ على ادعاء أركون أن التفاسير أعمال فكرية ومنتجات ثقافية مرتبطة بتلك البيئة الاجتماعية 2)
والثقافية، حيث انتقد هذا الأخير كتاب الإلتقان في علوم القرآن للامام السيوطي ووصفه أنه أشبه
بالمناهج المدرسي، فالمعرفة فيه مبعثرة والتقسيمات بلا جدوى واقترح تقسيما من عنده وانتقد عقليته
أنه ذو عقلية دينية وتفرض اليقينيّات المسبقة على البحث، حيث قال مكذبا ادعاءاته: "النّص القرآني
له اتجاهات كثيرة وكلّ عرض له من جهة" (فضل حسن عباس ، صفحة 372)

2.3: نقده لنصر حامد أبو زيد

صرّح الأستاذ فضل أن هذا النموذج لا يختلف عن سابقه أركون رغم اختلافهم في الوسائل التي وظفوها، إلا أنهم اجتمعوا عند الأهداف والغايات ومما ذكره:

النيل من الطائفة القائمة على هذا الدين، ابتداءً من الصحابة فالتابعين.

إلقاء الشبهات في كثير من قضايا الشرع البدئية.

التحلل من كثير من أوامر هذا الدين ونواهييه، ترك الواجبات وفعل المحرمات.

إلغاء القواعد والأسس التي قررها العلماء لتكون أصلاً لفهم كتاب الله (فضل حسن عباس ، الصفحات 372-373).

من بين أفكار نصر حامد أبو زيد في كتابه "مفهوم النص": هو تصورات المسبقة التي تدل على عدم الموضوعية مثلاً يصور أمامه خصوماً يسميهم أصحاب الفكر الرجعي، ثم يتعامل مع القرآن الكريم على أنه نص عادي وليس بالوحي، أيضاً نزع قدسية القرآن الكريم ويطعن فيه من جهة وجود السجع ويقارنه بنبوءات الكهان والعرافين التي تعتمد السجع، إضافة إلى ذلك فإنه يشكك في أمية الرسول صلى الله عليه وسلم وأن قوله ما أنا بقارئ ليس إقرار بعجزه ولكن قصد نفى القراءة أي "لن أقرأ" وهو تجسيد لحالة الخوف التي انتابت النبي صلى الله عليه وسلم (فضل حسن عباس ، صفحة 396).

من المقولات المهمة التي حاول الكاتب دسها أنه يرى أن النص القرآني تشكّل في الواقع وخضع للتطوّر ما يعني أنه لم يراعي قداسة القرآن الكريم مع تفاديه ذكر أنه كلام الله عز وجل.

من معتقداته كذلك أن النص تابع للبيئة ومتشكّل فيها، ثم يرسم المعاني حسب فهمه بصوره جدولية بيانية، حيث يرسم ويسميها، "منحنى سورة الإخلاص في علاقتها بمعرفة الذات"، حيث يعتقد أن النص القرآني تشكّل في الواقع والثقافة في فترة تزيد من عشرين عاماً، فقد تطوّر النص في العهد المدني حيث لم يكن كذلك في العهد المكي، من مغالطاته كذلك أنه لا يصحّ إخضاع الواقع المتغير لأحكام وتشريعات جامدة لا تتحرك ولا تتغير (فضل حسن عباس ، صفحة 397).

يفهم من النسخ أنه الإزالة التامة للنّص يتناقض مع حكمة التيسير والتدرّج في التشريع، ويفهم من حديث السبع الأحرف أنّ القرآن نزل سبع مرات.

— استعان الأستاذ فضل بالردّ على شبهاته بآيات من القرآن الكريم مثلاً ردّ على ادعاءه وتطاوله على العلماء من بينهم الإمام الغزالي، حيث يفهم من كلامه أن لكل إنسان الحق في فهم القرآن الكريم وتفسيره مهما تدنّت معرفته ويريد الخط من قيمة هؤولاء العلماء حيث أجاب بقوله تعالى: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" سورة النحل {الآية 43}

— الردّ النقلي: أبطل فضل عباس شبهة ربط الوحي مع الكهانة لأن كثيراً من العرب وقفوا من الوحي والدعوة موقف العداء والتكذيب فجاء القرآن راداً على موقفهم (فضل حسن عباس، صفحة 403): "فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنّه لَقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون تنزيل من رب العالمين" {الحاقة 38_43}.

— الرد العقلي: إدعى نصر حامد أبو زيد أنّ روايات التفسير حالت بين المسلمين وبين فهمهم للقرآن الكريم، فرد عليه رداً عقلياً أن ما يدعيه يكذبه الواقع، فمن أين جاءت كل هذه الثروة التفسيرية بقسميها المأثور والرأي التي انبنت على الاجتهاد والاستنباط، كما قال عز وجل: "كتاب انزلناه إليك ليُدبروا آياته" {سورة ص الآية 29}.

3.3: نقده لمحمد شحرور

محمد شحرور كاتب سوري مختص بالهندسة التي درسها في روسيا الشيوعية، وهو مشبّع بالفكر الماركسي، ويحاول مزج هذا الفكر بالإسلام وأتلى للنقيضين أن يجتمعا، من خلال كتابه الخطير "الكتاب والقرآن" الذي اعتبره بأنه قراءة معاصرة للقرآن وهذا هو هدفه الأول حسب قوله تقديم كتاب إسلامي بعيد عن التعصب الطائفي والمذهبي، وهو كتابه لا يستحقان الرد لتفاهة الأفكار التي لا تمت إلى التعاليم الإسلامية بصلة كاعتقاده أن الخمر والربا والزنا ليسوا حراماً، فجعل كتاباً معاصراً يمكن أن يجد فيه كل قارئ معاصر أياً كانت معتقداته شيئاً يدخل ضمن قناعاته. (فضل حسن عباس، الصفحات 408-409) إذا كان القرآن جاء ليرضي البشر بتعاليمه ويوافق أهواءهم وليس ليضبطها وينظمها؟

شحرور اتبع منهجية معينة وهي:

أولاً: ادعاء الاحتجاج بالقرآن الكريم وعدم الاحتجاج بالسنة.

ثانياً: ادعاء اعتماد المنهج اللغوي في درس القرآن الكريم و أخيراً اعتماد الفرضيات العلمية وادعاء اعتماد العقل.

__ انتقد الأستاذ فضل على هذه المنهجية من خلال نسبة تطبيقه لها فوجد أنه لم يسر وفق المنهجية

العلمية الصحيحة فهو يقرر ما يشاء سلفاً، ثم يأتي الآيات الكريمة شواهد على ما قال ويحملها ما لا

تحمل، وأما السنة فلا يعدها وحياً من عند الله بل هي منهج خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم في

تطبيق الشرع وفهم القرآن، فمن الطبيعي أن تتعدد مناهج فهم القرآن في كل عصر حسب المستجدات،

ووأما ادعاؤه في اعتماد المنهج اللغوي في التفسير فإن دعائمه إنكار الترادف في اللغة، وعدم وجود العطف

إلا من باب المتغاريرات أو من باب عطف الخاص على العام، ووجود خاصية الاشتراك والتضاد في اللغة،

وجعل المعجمات والشعر الجاهلي مصادر للغة.

من بين الأمور التي دعى إليها شحرور أن القرآن لا يحمل أمراً ولا نهياً وإنما هو أخبار ولكون اسمه مشتق

من الفعل "قرن" فهو يقرن قوانين الطبيعة وأحداث التاريخ، وكونه مشتقاً من الفعل "قرأ" فهو مشتق من

هذه الأحداث.

يرى الكاتب أن الإعجاز يكمن في السبع المثاني التي هي بمفهوم الآيات الكونية والعلوم والخلق والخلق

والنشأة، أما الرسالة والتشريع والعبادات فلا يرى فيها إعجازاً، إذ هي قابلة للتطوير ويمكن تعديلها

فهي مرحلية.

ومن أخطر ما عرض إليه أن الآيات المحكمات قابلة للتزوير والحذف والزيادة (فضل حسن عباس ،

صفحة 412).

خاتمة

مما سبق ذكره نستنتج أنّ الأستاذ فضل حسن عباس له جهود معتبرة في نقد دعاة الحداثة في علوم القرآن،

واهتم في كتابه بالرد على الشبهات المعاصرة ونقد أصحابها، كما سبق وأشرنا أنّ كتابه قد تميّز في هذه

النقطة على غيره من كتب علوم القرآن، فسعى جاهدا نحو نقد الدراسات الحدائية التي جعلت من علوم القرآن الكريم وسيلة لضربه وتحريف معناه، والابتعاد عن مقاصده، من خلال التشكيك في صحة كتب المتقدمين ونسف الجهود السابقة في مجال التفسير وعلوم القرآن، وتعويضها ببعض الوسائل كما سماها الأستاذ فضل.

4. خاتمة:

1. إتقان البرهان في علوم القرآن كتاب فيه اختصار لجهود السابقين وتمحيص في نقل الأقوال والروايات.
2. التزم فيه مؤلفه بالجدّة والجدية فجاء معالجا للقضايا الجديدة، وممّحّصا للجهود السابقة المتقدمة.
3. فضل حسن عباس يكتّ عداوة شديدة للحدائثيين لشناعة ما يثبونه من أفكار ولعداوتهم التي يطنونها للإسلام والمسلمين، والتي من خلالها ينصح طلبة العلم والأساتذة أن يحدروا منها ويكونوا من السابقين في محاربتها.
- سلك في نقده الحدائية طريقة الإجمال حيث جعل الحدائثيين في مرتبة واحدة، وطريقة التفصيل حيث اختار ثلاثة نماذج وهي أكون ونصر ابو زيد ومحمد شحرور وكان عرضه لهم في الفصل الأخير من كتابه. رد الأستاذ على ادعاءات الحدائثيين من خلال طريقتين وهو طريق النقل وطريق العقل.
4. ردّ الأستاذ فضل افتراءات شحرور من خلال ابراز الضعف العلمي للكاتب وعدم معرفته باللغة العربية وقواعدها، حيث عرض لقضايا لغوية ونحوية خرج فيها عن المؤلف والمعروف عند أئمة اللغة بل عند العقلاء جميعا.

5. قائمة المراجع:

- حسن عباس فضل ، 2021م، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار نفائس ،الأردن.
- العسقلاني، محمد بن يوسف الجوراني ، 2013م ، لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل حسن عباس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، الأردن.
- ابن فارس مقاييس اللغة

- لابن منظور لسان العرب.
- عبّاس، إحسان، 1989 ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت.
- أبو حسان، جمال محمود أحمد ، 2003م، دراسات اسلامية عربية مهداة للاستاذ الدكتور فضل حسن عباس، دار الرازي، عمان.
- بن علي ، سليمة، مسلك فضل حسن عباس في الرد على الشبهات من خلال كتابه اتقان البرهان في علوم القرآن جامعة الشهيح حمه لخضر، الوادي.
- ينظر دراسات إسلامية وعربية .